مبرة الآل والأصحاب

السلسلة الأولى: سير الآل والأصحاب (٩)

إني رُزقت حُبّها

السيرة العطرة لأم المؤمنين
خديجة رضي الله عنها

محمد سالم الخضر

رئيس مركز البحوث والدراسات بالمبرة

بمساهمة

الحاجة قماشه إبراهيم ناصر الزير

(رحمها الله)

٢٣٩ الخضر ، محمد سالم .
إني رزقت حبها / محمد سالم الخضر. ط ١. – الكويت:
مبرة الآل والأصحاب، ٢٠٠٩
٦٠ ص ؛ ٢٤سم. – (سير الآل والأصحاب ؛ ٩)
ردمك : ٩ – ٧ – ٦٧٤ – ٩٩٩٠٦ – ٩٧٨

١- السيرة النبوية ٢- زوجات النبي
٣- أم المؤمنين خديجة رضي الله عنـها
أ – العنوان ب- السلسلة

رقم الإيداع : ٣١٨ / ٢٠٠٨
ردمك : ٢ – ٧ – ٦٧٤ – ٩٩٩٠٦ – ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م
مبرة الآل والأصحاب

هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣ – ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦
ص. ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت
www.almabarrah.net
E-mail: almabarrh@gmail.com

رقم الحساب: بيت التمويل الكويتي ٢٠١٠٢٠١٠٩٧٢٣

لمراسلة المؤلف
Alboshra1975@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

تمهيد

ها أنذا أقف وإياك عزيزي القارئ عند معين فيّاض من التضحية والتفاني في دين الله عز وجل، نقف هاهنا لنرتوي من مائه العذب، لعلنا نسد رمق عطشنا إلى مثل هذه النماذج الإيمانية اليوم.

أيها القارئ الكريم... نحن أمام امرأة ليست كباقي النساء.

لئن قال الله تعالى في نساء النبي ﷺ ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[1]

فإنّ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فوق هذا ليست كأحد من نساء النبي ﷺ.

فهي أول من آمن من النساء بالاتفاق بل أول من آمن مطلقاً[2].

---

١ سورة الأحزاب آية ٣٢

٢ قاله العيني في عمدة القاري ١/ ٦٣، وقال الزهري وقتادة وموسى بن عقبة وابن إسحاق والواقدي وسعيد ابن يحيى: أول من آمن بالله ورسوله خديجة، وأبو بكر، وعليٌّ رضي الله عنهم.

وهي أقرب زوجات النبي ﷺ إليه حباً ومكانة، بل أقربهنّ نسباً إذ لَمْ يَتَزَوَّج النبي ﷺ مِنْ ذُرِّيَّة قُصَيّ غَيْرهَا إِلَّا أُمّ حَبِيبَة[١].

"فضلها عظيم، وخطرها[٢] جزيل، أكرمها الله تعالى العظيم بأن زوجها رسوله ﷺ، رزقت منه الأولاد الكرام، وأولدها كذلك فاطمة الزهراء، مهجة رسول الله ﷺ.

كان النبي ﷺ يعظم قدر خديجة، ويكثر ذكرها، ويغضب لها ويثني عليها، كرامة منه لها، بُعث النبي ﷺ وهي زوجته، وهي أول من أسلم من النساء، فكان النبي ﷺ يخبرها بما يشاهد من الوحي، فتثبته وتعلمه: "إنك نبي، وإنك عند الله كريم"، ويتعبد لربه عز وجل في جبل حراء، فتزوده وتعينه على عبادة ربه عز وجل، وتحوطه بكل ما يحب"[٣].

---

١ فتح الباري ٧/ ١٣٤

٢ يُقال للشيء إذا ارتفع قدره ومكانته «خطير».

٣ الشريعة للإمام الآجري ٤/ ٣٥٧

وعلماء الأمة "لا يختلفون أنّ رسول الله ﷺ لم يتزوج في الجاهلية غير خديجة ولا تزوج عليها أحداً من نسائه حتى ماتت ولم تلد له من المهارى[١] غيرها، وهي أول من آمن بالله عز وجل ورسوله ﷺ "[٢].

عُرفت برجاحة العقل، ونُبل الأخلاق، وطهارة السيرة حتى أُعجبت بها مكة بأسرها، وصار الناس يعرفونها بلقب أطلقوه عليها هو "الطاهرة"[٣].

فكانت بما حباها الله تعالى من الأخلاق ورجاحة العقل، وبما فرضت عليها تجارتها التي كانت تُشرف عليها من حُسن الإدارة والإشراف والحزم عند اتخاذ القرار مُهيّأة تمام التهيؤ لِأن تكون رفيقة درب النبي ﷺ وشريكة حياته ونصيرة دعوته بل وزوجته في الآخرة.

---

١ أي الحرائر وهي ضد السّرائر، ومفردها مُهِيرَةُ، والمراد أنه لم يلد للنبي ﷺ من زوجاته الحرائر غير خديجة رضي الله عنها، وإنما نُصّ على كونهن حرائر، لأنّ مارية القبطية رضي الله عنها أنجبت لرسول الله ﷺ وهي من سراريه.

٢ الاستيعاب ٤/ ١٨١٩

٣ فقد ذكر الزبير بن بكّار – كما في "سير أعلام النبلاء ٢/ ١١١" أنّ أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كانت تُدعى في الجاهلية "الطاهرة". وأمها هي فاطمة بنت زائدة العامرية.

ولوجود مثل هذه المقومات العظيمة في شخصيتها رضي الله عنها كانت أول من بادر وقَبِل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوته دون تردد.

الفصل الأول :

خديجة رضي الله عنها – الزوجة والأم

زواجها الأول

تزوجت خديجة رضي الله عنها قبل الرسول ﷺ أبا هالة بن زُرارة التميمي، وولدت منه ابنيها هنداً وهالة، ومن بعده تزوجت عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جاريةً تُدعى "هنداً".

قال الإمام الذهبي في (السير): "كانت خديجة رضي الله عنها أولاً تحت أبي هالة بن زُرارة التميمي، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم، ثم بعده النبي ﷺ، فبنى بها وله خمس وعشرون سنة. وكانت أسنّ منه بخمس عشرة سنة"[1].

وقال البلاذري في "أنساب الأشراف": (وكانت خديجة قبل رسول الله ﷺ عند أبي هالة هند بن النباش بن زُرارة الأسيدي، من تميم، فولدت له هند بن أبي هالة سمي باسم أبيه. ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فطلقها فتزوّجها النبي ﷺ. وكانت مسماة لورقة بن نوفل، فآثر الله عز وجل بها نبيه)[2].

---

١ سير أعلام النبلاء ٢/ ١١١

٢ أنساب الأشراف ٢/ ٥٣٧

وخالف ابن سعد في "الطبقات" الذهبي والبلاذري فيما رواه عن الواقدي أنّ أول من تزوجها هو أبو هالة، واسمه هند بن النباش بن زرارة، فولدت له رجلاً يُقال له هند، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبد الله المخزومي، فولدت له جارية يُقال لها هند، فتزوجها صيفي بن أمية بن عابد بن عبد الله وهو ابن عمّها ويقال لبني محمد هذا بنو الطاهرة لمكان خديجة، وكان له بقية بالمدينة وعقب فانقرضوا وكانت خديجة تدعى "أم هند"[١].

أقول: وما ذكره الواقدي – على ضعفه المعروف– مخالف لما اشتهر في التاريخ، فإنّ المشهور عنها رضي الله عنها أنها لم تتزوج قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا إثنين (أبا هالة بن زُرارة التميمي) و(عتيق بن عابد).

وصيفي بن أمية بن عابد – المذكور– هو زوج ابنتها رضي الله عنها لا زوجها.

ففي (أنساب الأشراف) للبلاذري ما نصه: "كانت خديجة ولدت لعتيق[٢] جارية، يُقال لها: هند، فتزوجها صيفي بن أمية بن عابد بن

---

١ انظر: الطبقات الكبرى ٨/ ١٤-١٥

٢ أي قبل تزوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياها

عبد الله، فولدت له محمداً، فيُقال لبني محمد بن صيفي بالمدينة "بنو الطاهرة""[١].

١ أنساب الأشراف ٢/ ٥٣٨

زواجها من الحبيب المصطفى ﷺ

هل يُمكن لشاب في مقتبل العمر، لم يسبق له الزواج أن يقترن بمُطلقة أو أرملة؟

قد يبدو ذلك صعباً وغير مستساغاً عند كثير من الشباب أو في مجتمعنا بصورة عامة.

لكن النبي ﷺ يُعطينا بزواجه من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها درساً في اختيار الزوجة الصالحة وإن لم تكن بِكراً.

صحيح أنّ النبي ﷺ حض على اقتران الشباب بالأبكار، كما في وصيته عليه الصلاة والسلام لجابر الأنصاري رضي الله عنه التي رواها لنا جابر نفسه بقوله: (تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ثَيِّبًا فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا جَابِرُ تَزَوَّجْتَ. قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَبِكْرٌ أَمْ ثَيِّبٌ. قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبٌ يا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَهَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ أَوْ قَالَ: تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ – يعني أباه – هَلَكَ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ – أَوْ سَبْعَ – وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آتِيَهُنَّ أَوْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ فَأَحْبَبْتُ

أَنْ أَجِيءَ بِامْرَأَةٍ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ. قَالَ: فَبَارَكَ اللهُ لَكَ أَوْ قَالَ لِي خَيْرًا)[١].

لا أنكر ذلك البتة ولا أدعو ابتداء إلى خلاف تلك الوصية النبوية – معاذ الله.

لكنني أود وإياك أن نستشعر المعنى الجليل من وراء تلك النصيحة النبوية، فالنبي وهو أب للمؤمنين، حريصٌ كل الحرص على أن يوفر الزواج للشباب رغباتهم العاطفية بأكمل أوجهها، ولذلك لما نصح جابر الأنصاري ﷺ بهذه الوصية وجاءه رد جابر بأنّ سبب اقترانه بالثيب هو رعاية أخواته التسعة أو السبعة، وأنّ البكر لن ترفع عنه الحِمل بل ستزيده، أقره النبي ﷺ ودعا له بالبركة.

ولا شك أنّ الحض على الاقتران بالبكر لا يعني الإعراض عن الثيب إن كانت أكثر تميزاً.

ولا زال الصحابة رضوان الله عليهم يتزوجون المطلقات والأرامل احتساباً للأجر أو رغبة في الصالحات وإن كن ثيبات.

---

١ صحيح مسلم – كتاب الرضاع باب استحباب نكاح البكر – حديث رقم (٣٦٣٨).

فالمرأة خير متاع الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام: "إنّ الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"[١].

ولئن كانت المرأة الصالحة هي خير متاع الدنيا، فإنه من الجدير بالمرء أن يُحسن اختيار متاعه.

فكيف إذا كانت المرأة التي نتكلم عنها هي سيدة نساء العالمين؟

إنّ "خديجة مثلٌ طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم. إنّ أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية. ويلقون غبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه. وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، بل الإدراك والمعونة، وكانت خديجة سبّاقة إلى هذه الخصال وكان لها في حياة محمد ﷺ أثر كريم"[٢].

لقد كانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، من أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً، وكان رجال قومها يحرصون على الزواج منها. وكانت تستأجر الرجال من مالها وتضاربهم إياه بشيء

١ سنن النسائي – كتاب النكاح – باب المرأة الصالحة – حديث رقم (٣٢٣٢) بسند صحيح

٢ فقه السيرة للغزالي ص٧٨

تجعله لهم. فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فوافق وخرج مع غلام لها يُدعى "ميسرة". ومن خلال معاشرة ميسرة للرسول ﷺ رأى من الآيات والمعجزات ما حكاه لسيدته خديجة رضي الله عنها، فرغبت في الزواج من رسول الله ﷺ[1].

ومن تلك الآيات أنّ الرسول ﷺ عندما قدم بُصرى من أرض الشام نزل في ظل شجرة، فقال نسطورُ الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم قال لميسرة: أفي عينيه حُمرة؟ قال: نعم، لا تفارقه، قال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء.

وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه إذا اشتدت الهاجرة، وتقول الرواية: إنّ خديجة رأت ذلك عندما دخل محمد ﷺ مكة في ساعة الظهيرة.

وفي القصة أنه وقع بين الرسول ﷺ ورجل تلاحٍ في البيع، فقال الرجل للنبي ﷺ: احِلف باللات والعزى، فقال النبي ﷺ: "ما حلفت بها قط، وإني لأمُرّ فأعرض عنها".

---

١ سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٤

وقال لميسرة: هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتاً في كتبهم. وفي القصة أيضاً أنّ تجارة الرسول ﷺ ربحت ضِعف ما كانوا يربحون، وأضعفت ما كانت تُعطي لغيره من قريش.

لأجل هذا كله وما أسمعها ميسرة من حديثٍ عن أمانة رسول الله ﷺ وسمو خلقه، رغبت خديجة رضي الله عنها في أن يكون النبي ﷺ زوجاً لها، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها "نفيسة بنت منبه" والتي بدورها (ذهبت إليه ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضي بذلك، وكلّم أعمامه فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وعلى إثر ذلك تم الزواج، وحضر العقد بنو هاشم ورؤساء مضر، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، وأصدقها عشرين بَكْرة[١]. وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا وثروة وعقلًا، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت)[٢].

قال العيني: "تزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي أم أولاده كلهم خلا إبراهيم فمن مارية ولم يتزوج غيرها

---

١ البكرة هي الأنثى من الإبل إذا طلع نابها في السنة الثامنة أو التاسعة من عمرها.

٢ الرحيق المختوم ١/ ٤٦

قبلها ولا عليها حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح وقيل بخمس وقيل بأربع فأقامت معه أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر ثم توفيت"[١].

---

١ عمدة القاري ١/ ٦٣

من تولى تزويجها ؟

اختلف المؤرخون في الذي تولى أمر زواجها، فذكر ابن إسحاق أنّ الذي زوّجها هو أبوها خويلد، وقال السهيلي وابن كثير والشامي: إنّ ابن إسحاق ذكر في السيرة أنّ أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوّجها، ولكن لم نجد ذلك في المطبوع من سيرة ابن إسحاق.

وقال الواقدي: فهذا كله عندنا غلط ووهل[١] والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أنّ أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار وأنّ عمها عمرو بن أسد زوّجها رسول الله ﷺ.

على أنّ الطبراني قد روى في "المعجم الكبير" عن جابر بن سمرة رضي الله عنه[٢] قوله: كان النبي ﷺ يرعى غنماً فاستعلى الغنم فكان في الإبل هو وشريك له فأكريا أخت خديجة فلما قضوا السفر بقي لهم عليها شيء فجعل شريكه يأتيهم ويتقاضاهم، ويقول لمحمد ﷺ: انطلق فيقول: (اذهب أنت فإني أستحي) فقالت مرة وأتاهم[٣]: فأين محمد لا يجيء معك؟ قال: قد قلت له فزعم أنه يستحي، فقالت: ما رأيت رجلاً أشد

---

١ في كتاب (أساس البلاغة ٢/ ٢٩): (ووهل عنه إذا غلط فيه وسها عنه).

٢ أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ –كما في الرواية–.

٣ كذا في الأصل ولعل هناك سقط أو تصحيف.

حياء ولا أعف ولاء، فوقع في نفس أختها خديجة فبعثت إليه، فقالت: ائت أبي فاخطبني إليه، فقال: أبوك رجل كثير المال وهو لا يفعل، قالت: انطلق فالقه وكالمه ثم أنا أكفيك وائت عند سكره ففعل فأتاه فزوّجه فلما أصبح جلس في المجلس، فقيل له: قد أحسنت زوجت محمداً، قال: أو فعلت؟ قالوا: نعم، فقام فدخل عليها، فقال: إنّ الناس يقولون: إني قد زوّجت محمداً وما فعلت، قالت: فلا تسفهن رأيك، فإنّ محمداً ﷺ كذا فلم تزل به حتى رضي ثم بعثت إلى محمد ﷺ بوقتين[1] من فضة أو ذهب وقالت: اشتر حلة فاهدها لي وكبشاً وكذا وكذا ففعل[2].

---

١ كذا في الأصل ولعلها «بأوقيتين».

٢ المعجم الكبير ٢/ ٢٠٩-٢١٠ وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد): (رواه الطبراني والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي وهو ثقة، ورجال البزار أيضاً إلا أن شيخه أحمد بن يحيى الصوفي ثقة ولكنه ليس من رجال الصحيح وقال فيه: قالت: وأته غير مكره. بدل: سكره. وقالت في الحلة: فأهدها إليه. بدل: إلي).

وقد كان مهرها ﵁ وفقاً لما ذكره أهل التواريخ (عشرين بَكْرة)[١] ، وقد حُكي أنّ الذي ذهب مع النبي ﷺ لِخطبة خديجة ﵂ هو حمزة ابن عبد المطلب ﵁[٢].

---

١ البكرة هي الأنثى من الإبل فإذا كبرت صارت ناقة.

٢ سيرة ابن هشام ١/ ١٨٩

روايات ضعيفة في أمر التزويج

وما دمنا قد ذكرنا اختلاف المؤرخين في الشخص الذي تولى تزويج أم المؤمنين خديجة ﵂ من النبي ﷺ فأرى أنه من المهم أن أشير إلى بعض الروايات الضعيفة المشتهرة في هذا الموضوع لئلا يغتر بها مغتر أو يحتار في توجيهها طالب الحق، فأقول مستعيناً بالله تعالى:

إنّ روايات التزويج التي وقفت عليها من خلال استقرائي في سيرة أم المؤمنين خديجة العطرة تكاد تكون منحصرة في هذه الروايات الثلاثة وهي:

١- روى الإمام أحمد في مسنده عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس فيما يحسب حماد أنّ رسول الله ﷺ ذكر خديجة وكان أبوها يرغب أن يزوجه فصنعت طعاماً وشراباً فدعت أباها وزمراً من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة لأبيها: إنّ محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها إياه فخلعته وألبسته حلة وكذلك كانوا يفعلون بالآباء فلما سرى عنه سكره نظر فإذا هو مخلق وعليه حلة، فقال: ما شأني ما هذا؟ قالت: زوجتني محمد بن عبد الله، قال: أنا أزوج يتيم أبي طالب؟ لا لعمري فقالت خديجة: أما

تستحي تريد أن تسفه نفسك عند قريش تخبر الناس أنك كنت سكران فلم تزل به حتى رضي[١].

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط معلّقاً: (إسناده ضعيف شك حماد في وصله ثم إنه قد دلسه فقد رواه البيهقي في الدلائل عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار . فعاد الحديث إلى علي بن زيد وهو ضعيف)[٢].

٢- روى البزّار في (مسنده) عن عمار بن ياسر ﵁ أنه كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله خديجة يقول عمار: أنا من أعلم الناس بتزويج رسول الله إياها كنت من إخوانه فكنت له خدنا وإلفاً في الجاهلية وإني خرجت مع رسول الله ذات يوم حتى مررنا على أخت خديجة وهي جالسة على أدم لها فنادتني فانصرفت إليها ووقف رسول الله فقالت أما لصاحبك في تزويج خديجة حاجة فأخبرته فقال: بلى لعمري فرجعت إليها فأخبرتها بما قال رسول الله قال: اغد إلينا إذا أصبحت غداً فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا أبا خديجة حلة وضربوا عليه قبة فكلمت أخاها فكلم أباه فأخبر

---

١ مسند أحمد – مسند عبد الله بن العباس – حديث رقم (٢٨٥١)

٢ مسند أحمد ١/ ٣١٢

برسول الله ومكانه وسأله أن يزوجه فزوجه فصنعوا من البقرة طعاماً فأكلنا منه ونام أبوها ثم استيقظ فقال: ما هذه الحلة وهذه القبة وهذا الطعام؟ قالت له ابنته التي كلّمت عماراً: هذه الحلة كساكها محمد بن عبد الله ختنك، وبقرة أهداها إليك فذبحناها حين زوجته خديجة، فأنكر أن يكون زوجه وخرج حتى جاء الحجر وخرجت بنو هاشم حتى جاؤوا، فقال: أين صاحبكم الذي تزعمون أني زوجته خديجة؟ فلما رأى رسول الله ونظر إليه قال: إن كنت زوجته وإلا فقد زوجته.

قال البزّار: (وهذا الحديث لا نحفظه عن عمار بن ياسر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد)[1].

وقال الهيثمي تعليقاً على الحديث: (رواه الطبراني والبزار وفيه عمر بن أبي بكر المؤملي وهو متروك).

٣- ذكر العسكري في (الأوائل) بإسناده عن سعيد بن جبير قال: اجتمعت نساء قريش في عيد لهن فجاءهن يهودي فقال: يوشك أن يبعث فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون له أرضاً يطؤها فلتفعل فشتمنه وطردنه، ووقر ذلك في صدر خديجة، وكانت استأجرت رسول الله ﷺ وبعثته مع ميسرة غلامها إلى الشام، فبينما هي تنظر قدومهما

---

١ البحر الزخّار ٤/ ٢٥٠.

نظرت رجلاً يطلع من عقبة المدينة وليس في السماء غيم إلا قدر ما يظله، وإذا هو النبي ﷺ فقالت: إنّ قول اليهودي حق والمبعوث محمد، فقالت له: اخطبني، فلقي عمه أبا طالب فقال: اخطب عليّ خديجة، قال: أخاف ألا يفعلوا أيم قريش وأنت يتيم قريش فقال اخطبها عليّ، فلقي أبو طالب أباها وقالوا: عمها، وهو الصحيح، فذكر له ذلك فلقيها فقال فلان يخطبك لشيخ من قريش، فقالت: شيخ قضى شبابه وساء خلقه لا حاجة لي فيه فقال لها: محمد، فقالت: أوسط قريش حسباً وأفصحهم لساناً، أعود عليه بمالي فيكون عطف يميني، فبعث إليه أن تعال نزوجك فاستنهض معه أبا طالب، فقال: أخاف ألا يفعلوا وإن ردوني كانت الفضيحة فتأخر وبعث معه حمزة، فمروا بعلي يلعب مع الصبيان فانطلق معهم فلما دخلوا قال النبي ﷺ: الحمد لله الحي الذي لا يموت. فقالوا: ا هذا الكلام؟ ثم تكلم بما أراد وأرادوا، فقالوا تكلمت ولكن من يضمن لنا المهر؟ فقال علي: أبي فلما بلغ الخبر أبا طالب جعل يقبل علياً ويقول بأبي أنت وأمي.

قالوا: والصحيح أنّ رسول الله ﷺ كان يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، ولو كان ذلك كذلك لكان لعلي يوم استشهد أكثر من سبعين سنة، ولم يقل هذا أحد. والغلط في أحد الأمرين. إما فيما رووه

من كون علي معهم أو فيما ذكروه من سن النبي يومئذ، وقد قيل: إنه كان يومئذ ابن ثلاثين سنة وقالوا: ابن خمس وثلاثون والله أعلم بالصواب[١].

قلت: ما ذكره العسكري رحمه الله في غلط الرواية حسن، كما أنّ في السند مجاهيل تُغنيك جهالتهم عن نقد الرواية، كما أنّ في تفاصيل القصة ما يخالف الصحيح من قصة زواج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها.

١ الأوائل للعسكري ١/ ٢٨

كم كان عمرها حين تزوجها النبي ﷺ؟

المشهور في كتب السيرة أنّ عمرها رضي الله عنها لما تزوجها رسول الله ﷺ كان أربعين سنة، وأنها لما تُوفيت كانت بنت خمس وستين.

روى ذلك ابن سعد في (الطبقات) عن الواقدي وفيه: (وتزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة)[١]، والواقدي متروك. بل قد رُوي خلاف ذلك، فقد روى الحاكم بسنده عن ابن إسحاق: (وكان لها يوم تزوجها ثمان وعشرون سنة)[٢] لكن ابن إسحاق لم يسند الخبر.

ثم ساق الحاكم بسنده عن هشام بن عروة قال: (تُوفيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي ابنة خمس وستين سنة). قال الحاكم: (هذا قول شاذ، فإنّ الذي عندي أنها لم تبلغ ستين سنة)[٣].

وقال الإمام البيهقي في (الدلائل): (قال أبو عبد الله – الحاكم- قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله

---

١ الطبقات الكبرى ١/ ١٣٢

٢ المستدرك ٣/ ١٨٢

٣ المصدر نفسه

الزبيري قال: ... ثم بلغت خديجة خمساً وستين سنة، ويُقال خمسين سنة. وهو أصح)[١].

قال الحافظ ابن كثير: (... وهكذا نقل البيهقي عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة، وكان عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين، وقيل: خمساً وعشرين سنة)[٢].

وقال رحمه الله عند الحديث عن زوجاته ﷺ: (وعن حكيم بن حزام قال: كان عمرها أربعين سنة. وعن ابن عباس: كان عمرها ثمانياً وعشرين سنة. رواهما ابن عساكر)[٣].

قال د. أكرم ضياء العمري: "وقد أنجبت خديجة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ ذَكرين وأربع إناث، مما يُرجِّح رواية ابن إسحاق (أي أنها في الثامنة والعشرين)، فالغالب أنّ المرأة تبلغ سنّ اليأس من الإنجاب

---

١ دلائل النبوة ٢/ ٧١

٢ البداية والنهاية ٢/ ٣٦٠ ، وقال العوشن في "ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية": ولم أر ما نسبه البيهقي في (الدلائل) في: باب ما جاء في تزويج رسول الله ﷺ بخديجة رضي الله عنها .

٣ البداية والنهاية ٥/ ٢٩٣

قبل الخمسين. ورغم أنّ هذه المعلومات لم تثبت حديثياً إلا أنها مشتهرة عند الإخباريين"[١].

على أنّ الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) قد قال في ترجمة "هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة" ما نصه: "حملت بموسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بعد ستين سنة، وسمعت علماءنا يقولون: لا تحمل امرأة بعد ستين سنة إلا من قريش، ولا بعد خمسين إلا عربية)[٢].

لكن هذا بعيد جداً، والنادر لا حُكم له، كما أنّ الأرحام لا تعرف فرقاً بين العروبة وغيرها فضلاً عن القرشية.

فلعل الأقرب إلى النفس ما ذهب إليه القائلون بأنه كان عمرها يوم زواجها من رسول الله ﷺ ثمانياً وعشرين سنة.

---

١ السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١١٣

٢ تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨

خير هدية تهديها لزوجها الحبيب

قال ابن هشام في "السيرة": "كان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة وصيف، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ، فقال لها: اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك. فاختارت زيداً فأخذته، فرآه رسول الله ﷺ عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فاعتقه رسول الله ﷺ وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه"[١].

"إني رُزقت حُبها"

هل يُمكن للعلاقة الزوجية أن تكون في عُرف أحد الزوجين أو كليهما (رزقاً)؟

لقد شاهدنا وسمعنا عن أناس يرون الحياة الزوجية نقمة وعذاباً أو شرّاً لا بد منه- كما يُعبر عنه الكثيرون في هذه الأيام مع الأسف.

ولن نكون متشائمين في نظرتنا، فالحياة حافلة بالنماذج الطيبة لأزواج جمعتهم علاقة حب وإخلاص، ولكن كم من هؤلاء بلغ به

---

١ سيرة ابن هشام ١/ ١٦٣

الحب مبلغاً جعل "الحب في حياته الزوجية" رزقاً من الله تعالى، يُشكر ويحمد عليه سبحانه ويُطلب منه الاستزادة منه كما يُشكر ويُحمد ويُطلب الاستزادة منه في الرزق الحلال؟

لن ترى زوجاً أو زوجة يصلان بحبهما إلى هذه القمة العالية إلا وقد استشعرا بلا شك حلاوة العلاقة.

هكذا بدا لنا الحب في العلاقة التي جمعت النبي ﷺ بأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِي -ﷺ- إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا).

تقول هذا وهي لم تُدرك أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ولم ترها ولم ترَ شيئاً من العلاقة التي جمعتها بالنبي ﷺ لكنها عرفت من واقع النبي ﷺ وتذكّره لخديجة - التي غادرت الدنيا- حُباً عظيماً ما رأت مثله من النبي ﷺ لزوجاته الأحياء على كثرتهن.

تقول مُكملة حديثها: (وَكَانَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ». فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ-ﷺ- «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[1].

من بر النبي ﷺ بخديجة بعد موتها

الرجل لا يتذكر من زوجته بعد مفارقتها الحياة عادة إلا ذكريات جميلة قضياها معاً أو أخرى مؤلمة ثبتت في الذهن، وغاية ما يفعله أن يترحم عليها عند ذِكرها أو تذكّرها، وقد يبقى لديه جانب من المودة يعيش على ما خلفته تلك الزوجة من أطفال أو متاع أو ذكريات.

وإذا ما رزقه الله تعالى زوجة صالحة فإنّ الخطب يهون عليه، والذكرى تكون أبعد من قلبه وعقله، لكننا أمام زوج تكاثرت عليه هموم الدنيا وأعباء الدعوة، ورزقه الله تعالى بدل الزوجة الصالحة زوجات، لكنه أبى إلا أن يُعطينا درساً في الحب والوفاء للمحبوب، وفي تذكّر من نحب.

---

١ رواه مسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حديث رقم (٦٢٧٨).

روى البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يُكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يُقطّعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد"[١].

وفي رواية لأحمد عن أم المؤمنين عائشة قالت: "كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء قالت فغِرتُ يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها، حمراء الشدق قد أبدلك الله عز و جل بها خيراً منها، قال: ما أبدلني الله عز و جل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء"[٢].

هذه خديجة ... وهذه صلتها بعد موتها ... إنها ماتت لكنها لم تمت في قلبه عليه الصلاة والسلام، فهو يُكثر ذكرها ويحرص على صلتها

---

١ رواه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب (تزويج النبي ﷺ).

٢ قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا سند حسن في المتابعات، حمراء الشدق: أي سقطت أسنانها.

بعد موتها من خلال صدائقها، ويحفظ لها نصرتها له وذكرياتها معه ونسلها الذي يراه ويحنو عليه.

لم تكن تلك الصلة مقتصرة على أخص الناس بخديجة بل بمن عُرفت بمحبتها خديجة ولو لم تكن من خاصتها.

يحكي أنس بن مالك ﷺ عن هذا فيقول: كان النبي ﷺ إذا أُتي بالشيء يقول: "اذهبوا به إلى فلانة؛ فإنها كانت صديقة خديجة. اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت تحب خديجة"[١].

هذا الاهتمام بخديجة ﵂ وبكل ما يخصها يتجلى وبأجمل صوره في لقاء النبي ﷺ بعجوز كانت تأتي خديجة ﵂ في بيتها.

فقد روى ابن الأعرابي في (معجمه) والحاكم في (المستدرك) عن أم المؤمنين عائشة ﵂، قَالَت: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وهو عندي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ فَقَالَ: بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ[٢]، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُم؟ كَيْفَ كُنْتُمْ

---

١ الأدب المفرد للبخاري (١/ ٩٠) بسند حسن

٢ فائدة: قال الإمام الطبري: "لا ينبغي التسمية باسم قبيح المعنى، ولا باسم يقتضي التزكية له، ولا باسم معناه السب، ولو كانت الأسماء إنما هي أعلام للأشخاص لا يقصد بها حقيقة الصفة لكن وجه الكراهة أن يسمع سامع بالاسم فيظن أنه صفة للمسمى، فلذلك كان ﷺ يحول الاسم إلى ما إذا =

بَعْدَنَا؟ قَالَت: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهَّ، فَلَمَّا خَرَجَت، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الإِقْبَال، فَقَال: إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَان[١].

وإن شئت لعينيك أن تفيضا بالدمع فقف بجانبي وانظر إلى وجه رسول الله ﷺ وهو يشاهد قلادة كانت لخديجة رضي الله عنها بعد وفاة خديجة بزمن بعيد.

روى الإمام أحمد في (مسنده) عن عبّاد عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: (لما بعثَ أهلُ مكة في فداء أسراهم، بعَثَتْ زينب

= دعي به صاحبه كان صدقاً. قال: وقد غير رسول الله ﷺ عدة أسماء". ذكره في (الفتح ١٠/ ٤٧٦).

وقال الشيخ الألباني بعد ذكره لكلام الإمام الطبري: (وعلى ذلك فلا يجوز التسمية بعز الدين ومحي الدين وناصر الدين ونحو ذلك، ومن أقبح الأسماء التي راجت فى هذا العصر ويجب المبادرة إلى تغييرها لقبح معانيها هذه الأسماء التي أخذ الآباء يطلقونها على بناتهم مثل (وصال) و(سهام) و(نهاد) و(غادة) و(فتنة) ونحو ذلك. والله المستعان).

١ معجم ابن الأعرابي ١/ ٤٠١ والمستدرك ١/ ١٥-١٦، وفيه (صالح بن رستم) وهو ضعيف ولكنه قد توبع، فالحديث صحيح، وبهذا حكم الشيخ الألباني في (السلسلة الصحيحة ١/ ٤٢٤)

بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبَعَثَتْ فيه بقلادة لها كانت لخديجة، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها. قالت: فلمّا رآها رسول الله ﷺ، رق لها رِقّةً شديدة، وقال: (إنْ رأيتم أنْ تُطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها، فافعلوا)، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها)[1].

فهذه قلادة أهدتها خديجة رضي الله عنها لابنتها زينب رضي الله عنها بمناسبة فرح وسرور، وذلك يوم زواجها من أبي العاص بن الربيع، فلما فرّق بينهما الإسلام حين أسلمت زينب وأبى زوجها ذلك حتى أُسر يوم بدر، بعثت زينب رضي الله عنها بقلادة خديجة رضي الله عنها تفتدي زوجها الأسير، فكان لهذه القلادة أثرها العظيم في نفس رسول الله ﷺ.

لقد ارتبطت تلك القلادة بالأمس بمناسبة فرح وسرور، فمالها اليوم ترجع إلى النبي ﷺ بمناسبة أسر وحزن.

---

١ رواه أحمد في المسند – حديث السيدة عائشة رضي الله عنها – حديث رقم (٢٦٣٦٢)

أولادها

أما أولادها من النبي ﷺ فهم: "القاسم، وعبد الله، ماتوا رُضَّعاً ورُقية، وزينب وأم كُلْثوم، وفاطمة".

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "كان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية، والمتفق عليه من أولاده منها: القاسم وبه كان يُكنى، مات صغيراً قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله ولد بعد المبعث فكان يُقال له: الطاهر والطيب[1] ويقال: هما إخوان له، وماتت الذكور صغاراً باتفاق"[2].

وقال الحافظ ابن الأثير: "مات القاسم بمكة وهو أول من مات من ولده، ثم عبد الله "[3].

أما بناته ﷺ فهاك شيئاً من أخبارهم:

١ - زينب رضي الله عنها

قال ابن عبد البر في (الاستيعاب): "كانت زينب أكبر بناته ﷺ لا خلاف أعلمه في ذلك، إلا ما لا يصح ولا يلتفت إليه، وإنما

---

١ قال ابن سعد في (طبقاته ٨/ ١٦): (سُمي بذلك لأنه ولد في الاسلام).

٢ فتح الباري ٧/ ١٠٣

٣ أسد الغابة ٥/ ٤٣٦

الاختلاف بين زينب والقاسم أيها ولد له ﷺ أولاً، فقالت طائفة من أهل العلم بالنسب: أول من ولد له القاسم ثم زينب وقال ابن الكلبي: زينب ثم القاسم. كان رسول الله ﷺ محباً فيها، أسلمت وهاجرت حين أبى زوجها أبو العاص بن الربيع أن يسلم وقد ذكرنا خبر أبي العاص في بابه، ولدت من أبي العاص غلاماً يقال له : علي وجارية اسمها أمامة)[١].

وقال الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء): "تزوجها في حياة أمها ابن خالتها أبو العاص؛ فولدت له: أمامة التي تزوج بها علي بن أبي طالب بعد فاطمة، وولدت له: علي بن أبي العاص، الذي يقال: إنّ رسول الله ﷺ أردفه وراءه يوم الفتح، وأظنه مات صبياً.

وذكر ابن سعد: أن أبا العاص تزوج بزينب قبل النبوة. وهذا بعيد.

أسلمت زينب، وهاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين"[٢].

وقال الإمام ابن عبد البر: "وتوفيت زينب بنت رسول الله ﷺ في حياة رسول الله ﷺ سنة ثمان من الهجرة، وكان سبب موتها أنها لما

١ الاستيعاب ٤/ ١٨٥٤

٢ سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٤٦

خرجت من مكة إلى رسول الله ﷺ عمد لها هبار ابن الأسود[١] ورجل آخر فدفعها أحدهما فيما ذكروا فسقطت على صخرة فأسقطت وأهراقت الدماء فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت سنة ثمان من الهجرة وكان زوجها محباً فيها.

قال محمد بن سعد: أنشدني هشام بن الكلبي عن معروف بن خربوذ قال: قال أبو العاص ابن الربيع في بعض أسفاره إلى الشام:

ذكرت زينب لما وركت إرمــاً   فقلت سقياً لشخص يسكن الحرما

بنت الأمين جزاها الله صالحة   وكل بعل سـيثني بالذي علمــا)[٢]

---

١ قال الإمام ابن عبر البر في (الاستيعاب ٤/ ١٥٣٦): "هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ في سفهاء من قريش حين بعث بها أبو العاص زوجها إلى المدينة فأهوى إليها هبار هذا ونخس بها فألقت ذا بطنها، فقال رسول الله ﷺ: "إن وجدتم هباراً فأحرقوه بالنار". ثم قال: "اقتلوه فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار". فلم يوجد ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه وصحب النبي ﷺ. وذكر الزبير أنه لما أسلم وقدم مهاجراً جعلوا يسبونه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال:"سب من سبك". فانتهوا عنه).

٢ الطبقات الكبرى ٨/ ٣٢.

٢- رقية رضي الله عنها

ولدت رقية بنت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ ابن ثلاث وثلاثين سنة[١].

تزوجها عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل الهجرة النبوية، فلما أنزل الله تعالى قوله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته، ففارقها، ولم يكن دخل بها[٢].

قال ابن سعد في (الطبقات الكبرى): "أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد وبايعت رسول الله ﷺ هي وأخواتها حين بايعه النساء وتزوجها عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً. قال رسول الله ﷺ: "إنهما لأول من هاجر إلى الله تبارك وتعالى بعد لوط"[٣]، وكانت في الهجرة الأولى قد أسقطت من عثمان ولداً ثم ولدت له بعد ذلك ابنا فسماه عبد الله، وكان عثمان يكنى

---

١ الاستيعاب ٤/ ١٨٣٩

٢ ذكره ابن سعد في (الطبقات) لكنه وهم فقال: تزوجها عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل النبوة، وقد استدرك على كلامه هذا الإمام الذهبي في (تاريخ الإسلام) فقال: كذا قال، وصوابه: قبل الهجرة).

٣ رواه الحاكم في (المستدرك ٤/ ٤٧) بلفظ: (يا أبا بكر، إنهما لأول من هاجر بعد لوط وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام).

به في الإسلام وبلغ سنه سنتين فنقره ديك في وجهه فطمر وجهه فمات ولم تلد له شيئاً بعد ذلك، وهاجرت إلى المدينة بعد زوجها عثمان حين هاجر رسول الله ومرضت ورسول الله يتجهز إلى بدر فخلف عليها رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فتوفيت ورسول الله ببدر في شهر رمضان على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله، وقدم زيد ابن حارثة من بدر بشيرا فدخل المدينة حين سوي التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ"[١].

٣- أم كلثوم رضي الله عنها

وهي ممن عرف بكنيته ولم يعرف اسمه، وهي أكبر سناً من فاطمة[٢].

قال ابن سعد في (الطبقات): "تزوجها عتيبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل النبوة فلما بعث رسول الله ﷺ وأنزل الله ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن دخل بها فلم تزل بمكة مع رسول الله وأسلمت حين أسلمت أمها وبايعت رسول الله مع أخواتها حين بايعه

١ الطبقات الكبرى ٨/ ٣٦-٣٧

٢ ذخائر العقبى ص١٦٤

النساء وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله وخرجت مع عيال رسول الله ﷺ إلى المدينة فلم تزل بها فلما توفيت رقية بنت رسول الله ﷺ خلف عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله وكانت بكراً وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة وأدخلت عليه في هذه السنة في جمادى الآخرة فلم تزل عنده إلى أن ماتت ولم تلد له شيئاً وماتت في شعبان سنة تسع من الهجرة فقال رسول الله: لو كن عشراً لزوجتهن عثمان"[١].

٤ – فاطمة رضي الله عنها

سيدة نساء العالمين على أبيها وعليها السلام كانت هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ واختلف في الصغرى منها، والصحيح أنها أصغر بنات النبي ﷺ.

كان مولدها قبل المبعث بقليل.

وقد تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذي القعدة، أو قُبيله، من سنة اثنتين بعد وقعة بدر.

وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أحد[٢].

---

١ الطبقات الكبرى ٨/ ٣٧

٢ الاستيعاب ٤/ ١٨٩٣

فولدت له الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب.

وهي أول بنات النبي ﷺ لحوقاً به ﷺ، فقد ثبت في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه الذي قُبض فيه، فسارَّها بشيء فبَكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء فضحكت، فسألنا عن ذلك، فقالت: سارَّني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي تُوفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت"[١].

ولي في فاطمة رضي الله عنها تصنيف خاص سأستوفي فيه بإذن الله تعالى ما يخص هذه الشخصية العظيمة، فنسأل الله تعالى تعجيل إصداره والتوفيق والسداد فيه وفي غيره.

---

١ رواه البخاري في صحيحه – كتاب المغازي – باب (مرض النبي ﷺ ووفاته) – حديث رقم (٤٤٣٣).

أولادها من غير رسول الله ﷺ

وأما أولادها من غير رسول الله ﷺ فهم:

٥- هند بن أبي هالة ﷺ

قال ابن الأثير: (وهو تميمي من بني أسيد بن عمرو بن تميم . وهو ربيب رسول الله ﷺ أمه خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ وأخواته لأمه: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهن السلام.

وكان أبوه حليف بني عبد الدار واختلف في اسم أبي هالة فقيل: نباش بن زرارة بن وقدان وقيل: مالك بن زرارة بن النباش وقيل: مالك بن النباش بن زرارة قاله الزبير. وأكثر أهل النسب يخالفونه في اسمه.

وقال ابن الكلبي: أبو هالة هند بن النباش بن زرارة كان زوج خديجة قبل النبي ﷺ فولدت له هند بن هند وابن ابن ابنه هند بن هند بن هند.

شهد هند بن أبي هالة بدراً وقيل: بل شهد أحداً وقتل هند بن أبي هالة مع علي يوم الجمل وقتل هند بن هند بن أبي هالة مع مصعب بن

الزبير وقيل: إنّ هند بن هند بن أبي هالة مات بالبصرة وانقرض عقبه فلا عقب لهم)[١].

وقال الإمام ابن عبد البر: (قال الزبير[٢]: قتل هند بن أبي هالة مع علي بن أبي طالب يوم الجمل وقتل ابنه هند بن هند مع مصعب بن الزبير يوم المختار. قال الزبير: وقد قيل إنّ هند بن هند مات بالبصرة في الطاعون فازدحم الناس على جنازته وتركوا جنائزهم وقالوا ابن ربيب رسول الله ﷺ. ونادت امرأة "واهند ابن هنداه" فمال الناس إليه. هكذا قال الزبير، وغيره يقول: إنّ هند ابن أبي هالة هو الذي مات بالبصرة مجتازاً، إذ مر بها فلم يقم سوق البصرة يومئذ وقالوا مات أخو فاطمة بنت رسول الله ﷺ،والصحيح ما قاله الزبير في ذلك والله أعلم بأنّ هند بن أبي هالة قتل يوم الجمل وأنّ ابنه هند بن هند بن أبي هالة هو الذي مات بالبصرة في الطاعون).

وقال الإمام ابن عبد البر أيضاً: (وكان هند بن أبي هالة فصيحاً بليغاً وصّافاً، وصف رسول الله ﷺ فأحسن وأتقن. وقد شرح أبو عبيدة وابن قتيبة وصفه ذلك لما فيه من الفصاحة وفوائد اللغة. وقد

١ أسد الغابة ٥/ ٧١

٢ أي الزبير بن بكار

روى عنه أهل البصرة حديثاً واحداً) ثم ذكر ابن عبد البر إسناده إلى هند بن خديجة زوج النبي ﷺ قال: مر النبي ﷺ بالحكم أبي مروان بن الحكم فجعل يغمزه فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: "اللهم اجعل به وزغاً". فرجف مكانه والوزغ الارتعاش)[١].

وقال عنه ابن حجر العسقلاني: (روى عن النبي ﷺ صفته وحليته وعنه الحسن والحسين وابن عباس وابنه هند بن هند، وفي حديثه من لا يعرف)[٢]

قلت: وحديث وصف النبي ﷺ المشار إليه آنفاً هو حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصّافاً عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال: (كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرقها وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله

---

١ الاستيعاب ٤/ ١٥٤٦

٢ تهذيب التهذيب ١١/ ٦٣

أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق، بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر، الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف أو قال: شائل الأطراف خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال قلعا يخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدر من لقي بالسلام، قال: فقلت: صف لي منطق رسول الله ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى ويتكلم بجوامع الكلم كلامه فصل لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئاً غير أنه لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها فإذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا

يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم يفتر عن مثل حب الغمام.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه وشكله فلم يدع منه شيئاً ..) إلى آخر الحديث.

قلت: والحديث وإن كان عظيم المعاني إلا أنه "ضعيف جداً" كما أشار إلى ذلك الشيخ الألباني رحمه الله في (مختصر الشمائل)[1].

٦- هالة بن أبي هالة

قال الإمام ابن عبد البر: "أخو هند بن أبي هالة الأسيدي التميمي حليف بني عبد الدار بن قصي، له صحبة، روى عنه ابنه هند"[2].

وخالف ذلك صاحب الإمام الطبري فنص على أنّ هالة لم يُدرك الإسلام بخلاف أخيه هند رضي الله عنه الذي ثبتت صحبته.

---

١ مختصر الشمائل ١/ ٢٠

٢ الاستيعاب ٢/ ٧٧٥

قال الطبري: "وتزوج أبو هالة خديجة ابنة خويلد رضي الله عنها فولدت له هنداً وهالة – رجلين – فمات هالة وأدرك هند الإسلام فأسلم، وكان الحسن بن علي عليه السلام يحدث عنه"[١].

وقال السمعاني: "الهالي: بفتح الهاء وفي آخرها اللام. هذه النسبة إلى هالة، وهو اسم رجل، والمنتسب إليه علي بن محمد بن عمرو بن تميم بن زيد بن هالة بن أبي هالة التميمي الهالي المصري، من أهل مصر. يروي عن أبيه محمد بن عمرو أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راقد فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وضم هالة إلى صدره وقال: "هالة هالة هالة". روى عنه أبو القاسم سليمان بن أحمد ابن أيوب الطبراني"[٢].

٧- هند بنت عتيق رضي الله عنها

قال ابن حجر العسقلاني: (ذكرها الدارقطني في كتاب (الأخوة) وقال: أسلمت وتزوجت ولم ترو عنه شيئاً)[٣].

---

١ المنتخب من ذيل المذيل ص٤٠

٢ الأنساب ٥/ ٦٢٥

٣ الإصابة ٨/ ٣٤٧

الفصل الثاني :

الصمود والتضحية لأجل الله ورسوله ﷺ

حين نزل الوحي

روى البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثمّ حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به

خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثمّ لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي)[1].

عاد النبي ﷺ إلى مجاورة حراء ليكمل خلوته وهو متشوق للوحي الذي حدّثه عنه ورقة ابن نوفل رضي الله عنه، لكن الوحي فتر.

حتى إذا أكمل النبي ﷺ شهر رمضان عاد إلى بيته فإذا به يرى أمين الوحي جبريل عليه السلام ولكن بصورة غير تلك التي رآه فيها أول مرة.

---

١ رواه البخاري في صحيحه – كتاب بدء الوحي– باب (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ).

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: (فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعباً فرجعت فقلت: زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ إلى ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ قبل أن تفرض الصلاة وهي الأوثان).

وفي رواية مسلم (جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدا ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء (يعني جبريل عليه السلام) فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت: دثروني فدثروني فصبوا عليّ ماء فأنزل الله عز وجل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾).

هكذا تنزّل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم .. وهكذا أثبتت خديجة رضي الله عنها أنها امرأةٌ ذات عقل راجح، وحكمةٍ، ورويّة، وتبصر بالأُمور.

لقد أتاها زوجها عليه الصلاة والسلام في حالة ذعر مما رأى، فأحسنت استقباله ومحادثته وطمأنته بحفظ الله له وأقسمت عَلَى ذلك

وهي البارة الصادقة أنّ الله لن يخزيه أبداً، ثم راحت تعدد صفاته النبيلة الحميدة التي من تحلى بها فلن يَخزى ولن يَذل أبداً (إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتُقري الضيف، وتُكسب المعدوم، وتُعين عَلَى نوائبِ الحق).

فقد كان معلوماً عند أهل الجاهلية أنّ المرء الذي تجتمع فيه هذه الصفات النبيلة محمودٌ عند الله تعالى، لأنّ كل النفوس مجبولة على أنّ الله سبحانه وتعالى عَدلٌ كريمٌ يُجازي الإِنسَان من جنس ما يعمل.

قصة زائفة في امتحان خديجة للوحي

لا يفوتني وأنا أعيش معك هذه السيرة العطرة لأم المؤمنين خديجة ﵂، وتلك اللحظات الصعبة التي عاشتها إلى جانب زوجها النبي ﷺ وهو يَحكي لها ما رآه في غار حراء، أن أُشير إلى إحدى القصص الزائفة المشتهرة على الألسن وفي الكتب عن علاقة خديجة ﵂ بالوحي، والتي تحتاج منا إلى وقفة ننتصر فيها للنبي ﷺ أولاً ولأم المؤمنين خديجة ﵂ من تلك :

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي إسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزّبَيْرِ: أَنّهُ حُدّثَ عَنْ خَدِيجَةَ ﵂ أَنّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهّ ﷺ: أَيْ ابْنَ عَمّ أَتَسْتَطِيعُ أَنّ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِك هَذَا الّذِي يَأْتِيك إذَا جَاءَك؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ فَإِذَا جَاءَك فَأَخْبِرْنِي بِهِ. فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهّ ﷺ لِخَدِيجَةَ: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي، قَالَتْ: قُمْ يَا ابْنَ عَمّ، فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُسْرَى؛ قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهّ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوّلْ فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُمْنَى؛ قَالَتْ: فَتَحَوّلَ رَسُولُ اللهّ ﷺ فَجَلَسَ عَلَى فَخِذِهَا الْيُمْنَى، فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ نَعَمْ .

قَالَتْ: فَتَحَوّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي ، قَالَتْ: فَتَحَوّلَ رَسُولُ اللهّ ﷺ فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا. قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ فَتَحَسّرَتْ وَأَلْقَتْ خِمَارَهَا وَرَسُولُ اللهّ ﷺ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا ، ثُمّ قَالَتْ لَهُ هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ لَا ، قَالَتْ: يَا ابْنَ عَمّ اُثْبُتْ وَأَبْشِرْ فَوَاَللهّ إنّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ، قَالَ ابْن إسْحَاقَ : وقد حَدّثتُ عَبْدَ اللهّ بْن حَسَن هذا الحديث فقال: قد سمعت أُمّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تُحَدّث بهذا الْحديث عنْ خَديجة إلّا أَنّي سَمعتها تقول أَدْخَلَتْ رَسُولَ اللهّ ﷺ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِرْعِهَا ، فَذَهَبَ عِنْدَ ذَلِكَ جِبْرِيلُ فَقَالَتْ لِرَسُولِ اللهّ ﷺ: إنّ هَذَا لَمَلَكٌ وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ[١].

وقد كنت أخرت دراسة هذه الرواية بالتفصيل إلى حين اكتمال المادة العلمية لدي حتى وقفت على ما قام به الأستاذ العوشن مشكوراً في كتابه (ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية) فوجدت فيه الكفاية.

يقول الأستاذ العوشن: وإسناد ابن إسحاق الأول معضل، فإسماعيل بن أبي حكيم لا يُعرف له سماع عن أحد من الصحابة، وخديجة رضي الله عنها كانت وفاتها قبل الهجرة. وكذا إسناده الآخر، فإنّ

---

١ السيرة النبوية ١/ ١٥٧

فاطمة بنت الحسين روايتها عن جدتها فاطمة بنت النبي ﷺ مرسلة، فكيف عن خديجة؟

ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في (الدلائل)[1].

وقد تعقّب الشيخ الألباني في المجلد الثالث عشر من (سلسلة الأحاديث الضعيفة) تحسين الحافظ الهيثمي للحديث بعد عزوه للحافظ الطبراني، فذكر الشيخ الألباني في الحديث علتين:

١- ضعف يحيى بن سليمان بن نضلة المديني

٢- مخالفته لمن هو أوثق منه[2].

أقول: والمتأمل للرواية يجد أنها قد أظهرت خديجة رضي الله عنها بصورة من يعلم طبائع الملائكة وعاداتهم وعلائم النبوة ودلائل الوحي، وهذا متعذر جداً في امرأة لم تعرف الوحي من قبل ولم يكن لها من علمه شيء!

ويُكذّبه أنها لو كانت كذلك لما لجأت إلى ورقة بن نوفل ليُفسر لها ما حصل لزوجها عليه الصلاة والسلام.

---

١ دلائل النبوة ٢/ ١٥٢

٢ سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٦٠٩٧).

ويُكذّبه أنها لم ولن تكون أعلم بطبائع الملائكة ودلائل الوحي وعلائم النبوة من الذي اختاره الله تعالى للنبوة، بحيث تُعلّمه الفرق بين الملك والشيطان بهذه الطريقة.

كما أنّ الرواية مخالفة لما ثبت في صحيح البخاري من قوله ﷺ لأم سلمة رضي الله عنها: (يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها)[1].

فلو كان ما ذُكر عن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حقاً لما عبّر النبي ﷺ عن خصوصية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالأمر.

على أننا نشير إلى فائدة في خُلق جبريل عليه السلام وهو يتنزل على النبي ﷺ بالوحي رواها مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: (.. ولم يكن يدخل عليكِ وقد وضعتِ ثيابك)[2].

---

١ رواه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب فضل عائشة رضي الله عنها – حديث رقم

٢ رواه مسلم في صحيحه – كتاب الجنائز – باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها – حديث رقم (٢٢٥٦)

في شِعب بني هاشم

وقفت أم المؤمنين خديجة ﵂ بجانب زوجها المصطفى- ﷺ - تساعده وتشد من أزره، وتعينه على احتمال الشدائد والمصائب، تدفع من مالها لنصرته، ومن حنانها وعطفها لمواساته وتسليته، ولعل موقفها من ميثاق الظلم والعدوان الذي كتبه المشركون حين اجتمعوا في خيف بني كنانة وتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق (ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل).

فتحملت لأجل الله تعالى ورسوله ﷺ أن تعاني مع بني هاشم وبني المطلب الحصار الجائر المفروض عليهم مدة ثلاث سنوات بلا طعام سوى ما كان يصل إلى المحاصرين سرًا، أو في الأشهر الحُرم حين يستطيع المحاصرون الخروج من الشعب لشراء الحوائج وبأسعار مبالغ فيها.

ويذكر ابن هشام في (السيرة) أنّ حكيم بن حزام بن خويلد ﵁ — وقد كان إذْ ذاك على الكفر - ضاق ذرعاً بهذا الحصار الجائر وهو يرى

عمته خديجة رضي الله عنها تعاني ما تعانيه من الجوع والتضييق، فخرج بغلام له يحمل قمحاً ذاهباً إلى الشَّعب.

وإليك عزيزي القارئ نص كلام ابن هشام عن تلك الفترة العصيبة: (وقد كان أبو جهل ابن هشام – فيما يذكرون – لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ، ومعه في الشعب، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البختري : طعام كان لعمته عنده بعثت إليه [فيه] أفتمنعه أن يأتيها بطعامها! خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ له أبو البختري لحى بعير فضربه به فشجه، ووطئه وطأ شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فيشمتوا بهم، ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، مبادياً بأمر الله لا يتقى فيه أحداً من الناس)[١].

---

١ السيرة ١/ ٢٣٦

وفاتها رضي الله عنها

كان خروج النبي ﷺ ومن معه من محنة الحصار في السنة العاشرة من البعثة النبوية، وقبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين.

لكن لم يكد النبي ﷺ أن ينعم بالراحة مع خديجة رضي الله عنها بعد طول مكابدة في الحصار حتى مَرِضت خديجة رضي الله عنها واشتد بها المرض حتى كان النبي ﷺ يسهر إلى جانبها ليرعاها ويقوم على خدمتها[1].

---

١ ومن غريب ما روت كتب الأخبار أنّ النبي ﷺ حدثها في مرضها يوماً فقال: "بالكره مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً، أما علمت أنّ الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون" قالت: وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله؟ قال: "نعم" قالت: بالرفاء والبنين ".

قلت: وهذا إسناد ضعيف لا يُأبه به، قال الهيتمي في "مجمع الزوائد ٩/ ٢١٨": (رواه الطبراني منقطع الإسناد، وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف).

وفي رواية ابن عساكر في "تاريخ دمشق ٧٠/ ١١٨": "يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فاقرئيهن مني السلام، قالت: يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال: لا، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى". =

وقد كانت وفاتها رضي الله عنها على الصحيح بعد البعثة النبوية بعشر سنين كما أشار إلى ذلك جمع من العلماء الأثبات.

فقد قال ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري): (وَمَاتَتْ عَلَى الصَّحِيح بَعْد الْمُبْعَث بِعَشْرِ سِنِينَ فِي شَهْر رَمَضَان، وَقِيلَ: بِثَمَانٍ، وَقِيلَ: بِسَبْعٍ، فَأَقَامَتْ مَعَهُ ﷺ خَمْساً وَعِشْرِينَ سَنَة عَلَى الصَّحِيح، وَقَالَ ابن عَبْد الْبَرّ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَة وَأَرْبَعَة أَشْهُر، وَسَيَأْتِي مِنْ حَدِيث عَائِشَة مَا يُؤَيِّد الصَّحِيح فِي أَنَّ مَوْتهَا قَبْل الْهِجْرَة بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَذَلِكَ بَعْد الْمُبْعَث عَلَى الصَّوَاب بِعَشْرِ سِنِين)[١].

وقال العيني: (وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام)[٢].

حزن النبي ﷺ عليها حُزناً أثر بالمسلمين، فخافوا من الحزن على نبيهم صلوات ربي وسلامه عليه، فسارت إلى النبي ﷺ خولة بنت

= وهذا إسناد ضعيف أيضاً، ففي سند الرواية (أبو بكر الهذلي) وهو متروك، نص غير واحد من علماء الجرح والتعديل على تضعيفه – كما في "تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٠-٤١".

١ فتح الباري ٧/ ١٠٠

٢ عمدة القاري ١/ ٦٣

حكيم وقالت: يا رسول الله، كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة، قال: أجل، كانت أم العيال وربة البيت[١].

لكن خولة بنت حكيم رضي الله عنها كانت حريصة جد الحرص على أن يتزوج النبي ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها من تقف معه في ظروف الدعوة العصبية فتعوضه شيئاً من الحنان والدفء الذي كان يجده في بيته ﷺ.

فقد روى الإمام أحمد في (المسند) عن أبي سلمة ويحيى قالا: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسول الله، ألا تزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً، قال: فمن البكر؟ قالت: ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك عائشة بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة ابنة زمعة، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول، قال: فاذهبي فاذكريهما علي فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قال: وما

---

١ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة ٨/١٠٢): (سنده قوي مع إرساله).

ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك قال: ارجعي إليه فقولي له أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي فرجعت فذكرت ذلك له، قال: انتظري، وخرج، قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه فوالله ما وعد وعداً قط فأخلفه لأبي بكر، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفتى، فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مُصْبٍ صاحبَنا مدخلُه في دينك الذي أنت عليه إنْ تزوج إليك، قال أبو بكر للمطعم بن عدي: أقولَ هذه تقول قال: إنها تقول ذلك، فخرج من عنده وقد أذهب الله عز و جل ما كان في نفسه من عدته التي وعده فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت ماذا أدخل الله عز وجل عليك من الخير والبركة قالت: وما ذاك قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه قالت وددت ادخلي إلى أبي فاذكري ذاك له وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية فقال من هذه فقالت خولة بنت حكيم: قال فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه

سودة قال كفء كريم ماذا تقول صاحبتك قالت تحب ذاك قال ادعها لي فدعيتها قال أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم أتحبين أن أزوجك به قالت نعم، قال ادعيه لي فجاء رسول الله ﷺ إليه فزوجها إياه فجاءها أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثي في رأسه التراب فقال بعد أن أسلم لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة)[1].

---

١ مسند أحمد ٦/ ٢١٢ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على الحديث: (إسناده حسن من أجل محمد بن عمرو وهو ابن علقمة بن وقاص وقد روى له البخاري مقرونا ومسلم متابعة).

الفصل الثالث :

فضلها وعظيم قدرها

فضلها وعظيم قدرها

قال الإمام الذهبي: (ومناقبها جمّة، وهي ممن كمل من النساء. كانت عاقلة جليلة دَينة مصونةً كريمةً، من أهل الجنة. وكان النبي ﷺ يُثني عليها، ويُفضّلها على سائر أمهات المؤمنين، ويُبالغ في تعظيمها بحيث إنّ عائشة – رضي الله عنها – كانت تقول: ما غِرت من امرأة ما غِرت من خديجة، من كثرةِ ذِكر النبي ﷺ لها. ومن كرامتها عليه ﷺ أنها لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قطّ، ولا تسرّى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين. وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو ﷺ لها. وقد أمره الله أن يُبشِّرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب)[1].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (وقد تقدم في أبواب بدء الوحي بيان تصديقها للنبي ﷺ في أول وهلة ومن ثباتها في الأمر ما يدل على قوة يقينها ووفور عقلها وصحة عزمها لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح)[2].

---

١ سير أعلام النبلاء ٢/ ١١٠

٢ فتح الباري ٧/ ١٠٠

ولأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها فضائل خاصة امتازت بها عن سائر أزواج النبي ﷺ، منها:

١ - أنها أول الناس إيماناً به عليه الصلاة والسلام، وقد تقدّم ذكر ذلك.

٢ - أنه ﷺ لم يتزوج عليها في حياتها قطّ، ولا تسرّى بامرأة حتى فارقت الدنيا.

٣ - أنها أحب أزواج النبي ﷺ إليه، إذ عدّ حبه لها رزقاً من الله رزقه إياه.

وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِي -ﷺ- إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ». قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ خَدِيجَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ- ﷺ - «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[١].

---

١ رواه مسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب (من فضائل خديجة بنت خويلد رضي الله عنها) – حديث رقم (٦٢٧٨).

٤- أنها خير نساء الأمة مطلقاً، فقد روى البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة)[١].

٥- أنّ النبي ﷺ كان يُكثر ذكرها وصلتها بعد وفاتها ﷺ.

فقد روى البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: (ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن).

وفي رواية مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة ﷺ أنها قالت: (ما غرت للنبي ﷺ على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها وما رأيتها قط)[٢].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري): (فِيهِ ثُبُوت الْغَيْرَة وَأَنَّهَا غَيْر مُسْتَنْكَر وُقُوعهَا مِنْ فَاضِلَات النِّسَاء فَضْلًا عَمَّنْ دُونهنَّ ، وَأَنَّ عَائِشَة كَانَتْ تَغَار مِنْ نِسَاء النَّبِيّ ﷺ لَكِنْ كَانَتْ تَغَار مِنْ

---

١ رواه البخاري في صحيحه – كتاب مناقب الأنصار – باب (تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ﷺ) – حديث رقم (٣٨١٥).

٢ رواه مسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب (من فضائل خديجة ﷺ) – حديث رقم (٦٢٨٠).

خَدِيجَة أَكْثَر وَقَدْ بَيَّنَتْ سَبَب ذَلِكَ وَأَنَّهُ لِكَثْرَةِ ذِكْر النَّبِيّ ﷺ إِيَّاهَا، وَوَقَعَ فِي الرِّوَايَة الَّتِي تَلِي هَذِهِ أَبْيَن مِنْ هَذَا حَيْثُ قَالَ فِيهَا: "مِنْ كَثْرَة ذِكْر رَسُول اللهَّ ﷺ إِيَّاهَا" وَأَصْل غَيْرَة الْمَرْأَة مِنْ تُخَيَّل مَحَبَّة غَيْرهَا أَكْثَر مِنْهَا، وَكَثْرَة الذِّكْر تَدُلّ عَلَى كَثْرَة الْمَحَبَّة)[1].

٦- أنّ جبريل عليه السلام بشّرها بسلام الله جل وعلا وبسلامه عليها، وبشّرها ببيت لها في الجنة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشّرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب)[2].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (قال العلماء: في هذه القصة دليل على وفور فقهها لأنها لم تقل "وعليه السلام" كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد "السلام على الله" فنهاهم النبي ﷺ وقال: إنّ الله هو السلام، فقولوا: "التحيات لله" فعرفت خديجة لصحة فهمها أنّ الله لا يُرد عليه السلام كما يُرد على المخلوقين

---

١ فتح الباري ١١/ ١٣١

٢ رواه البخاري في صحيحه – كتاب مناقب الأنصار – باب (تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها) – حديث رقم (٣٨٢٠).

لأنّ السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضاً دعاء بالسلامة وكلاهما لا يصلح أن يرد به على الله، فكأنها قالت: كيف أقول: "عليه السلام" والسلام اسمه ومنه يطلب ومنه يحصل، فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه، فجعلت مكان رد السلام عليه الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره، فقالت: وعلى جبريل السلام ثم قالت: "وعليك السلام" ويستفاد منه رد السلام على من أرسل السلام وعلى من بلغه، والذي يظهر أنّ جبريل كان حاضراً عند جوابها فردّت عليه وعلى النبي ﷺ مرتين، مرة بالتخصيص ومرة بالتعميم ثم أخرجت الشيطان ممن سمع لأنه لا يستحق الدعاء بذلك، قيل: إنما بلّغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبي ﷺ احتراماً للنبي ﷺ وكذلك وقع له لما سلم على عائشة لم يواجهها بالسلام بل راسلها مع النبي ﷺ، وقد واجه مريم بالخطاب فقيل: لأنها نبية، وقيل: لأنها لم يكن معها زوج يُحترم معه مخاطبتها)[1].

ثم نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله استدلال العلماء بهذه الفضيلة على أفضلية أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها على سائر نساء النبي ﷺ وبالذات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لكونها أفضل نساء النبي ﷺ

---

١ فتح الباري ٧/ ١٠٦

بعد خديجة رضي الله عنها فقال: (قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أنّ خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلّم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أنّ خديجة أفضل من عائشة، وردّ بأنّ الخلاف ثابت قديماً وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم، قلت: ومن صريح ما جاء في تفضيل خديجة ما أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم من حديث ابن عباس رفعه (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد).

قال السبكي الكبير -كما تقدم-: لعائشة من الفضائل ما لا يُحصى ولكن الذي نختاره وندين الله به أنّ فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة، واستدل لفضل فاطمة بما تقدم في ترجمتها أنها سيدة نساء المؤمنين، قلت: وقال بعض من أدركناه: الذي يظهر أنّ الجمع بين الحديثين أولى، وأن لا نفضل إحداهما على الأخرى.

وسئل السبكي هل قال أحد أنّ أحداً من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير خديجة وعائشة أفضل من فاطمة؟ فقال: قال به من لا يُعتد بقوله، وهو من فضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الصحابة لأنهن في درجته في الجنة. قال: وهو قول ساقط مردود انتهى.

وقائله هو أبو محمد بن حزم وفساده ظاهر، قال السبكي: ونساء النبي ﷺ بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل، وهن أفضل النساء لقول الله تعالى ﴿ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ... الآية ﴾[1].

---

١ فتح الباري ٧/ ١٠٦

ما ورد في شأنها من الأحاديث الصحيحة

الحديث الأول:

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: (اعتمر رسول الله ﷺ واعتمرنا معه فلما دخل مكة طاف وطفنا معه وأتى الصفا والمروة وأتيناهما معه وكنا نستره من أهل مكة أن يرميه أحد فقال له صاحب لي أكان دخل الكعبة؟ قال: لا. قال: فحدّثنا ما قال لخديجة؟ قال: (بشروا خديجة ببيت من الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[١].

١ رواه البخاري في صحيحه – كتاب أبواب العمرة – باب (متى يحل المعتمر؟).

وفي رواية أخرى عن ابن أبي أوفى ﷺ : (أكان رسول الله ﷺ بشر خديجة ببيت في الجنة؟ قال: نعم بشرها ببيت في الجنة من قصب[١] لا صخب فيه ولا نصب)[٢].

وجاء في رواية أبي هريرة ﷺ : (أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[٣].

---

١ قال جمهور العلماء : الْمُرَاد بِهِ قَصَب اللُّؤْلُؤ الْمُجَوَّف كَالْقَصْرِ الْمُنِيف، وَقِيلَ: قَصَب مِنْ ذَهَب مَنْظُوم بِالْجَوْهَرِ. قَالَ أَهْل اللُّغَة: الْقَصَب مِنْ الْجَوْهَر مَا اِسْتَطَالَ مِنْهُ فِي تَجْوِيف. قَالُوا: وَيُقَال لِكُلِّ مُجَوَّف قَصَب وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيث مُفَسَّرًا بِبَيْتٍ مِنْ لُؤْلُؤَة مُحَيَّاة، وَفَسَّرُوهُ بِمُجَوَّفَةٍ. قال الخطابي وغيره: الْمُرَاد بِالْبَيْتِ هُنَا الْقَصْر.

٢ رواه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب (تزويج النبي ﷺ خديجة بنت خويلد) ورواه مسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب (فضائل خديجة أم المؤمنين) واللفظ لمسلم.

٣ رواه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب (تزويج النبي ﷺ خديجة بنت خويلد) ورواه مسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب (فضائل خديجة أم المؤمنين).

وفي رواية عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بسند حسن عن النبي ﷺ قال: (أمرت أن أبشّر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[١].

الحديث الثاني:

روى الإمام أحمد في (المسند) عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغِرْت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكُرُها حمراءَ الشَّدْق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها، قال: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء)[٢].

وفي رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أيضاً أنّ رسول الله ﷺ كان يُكثر ذكر خديجة رضي الله عنها، فقلت: لقد أخلفك الله – وربما قال حماد– أعقبك الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت

١ رواه أحمد في المسند– مسند أهل البيت– حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب – ١٧٥٨

٢ رواه أحمد في المسند – حديث السيدة عائشة رضي الله عنها – ٢٤٨٦٤ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في (المسند ٤١/ ٣٥٦): (حديث صحيح، وهذا سند حسن في المتابعات ..).

في الدهر الأول، قالت: فتمعر وجهه تمعراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي وإذا رأى مخيلة الرعد والبرق حتى يعلم أرحمة هي أم عذاب[١].

الحديث الثالث:

روى البخاري عن علي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة)[٢].

الحديث الرابع:

روى أحمد في مسنده بسند صحيح عن ابن عباس ﷺ قال: "خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، قال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران"[٣].

---

١ رواه الحاكم في المستدرك – كتاب الأدب– باب (النهي عن انقضاض النجم)- حديث رقم (٧٧٧١)

٢ رواه البخاري في صحيحه – كتاب أحاديث الأنبياء – باب (قول الله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾) – حديث رقم (٣٤٣٢).

٣ قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح

بعض ما رُوي عنها أو في حقها من الأحاديث الضعيفة

١- روى أبو يعلى في مسنده والطبراني في المعجم الكبير من طريق سهل بن زياد حدثنا الأزرق بن قيس عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن خديجة ابنة خويلد ﵂ أنها سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أين أطفالي منك؟ قال: في الجنة، قالت: بغير عمل؟ قال: قد علم الله ما كانوا عاملين، قالت: فأين أطفالي من أزواجي من المشركين؟ فقال: في النار قالت: بغير عمل؟ قال: قد علم الله ما كانوا عاملين.

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): (رواه الطبراني وأبو يعلى ورجالهما ثقات إلا أن عبد الله بن الحارث بن نوفل وابن بريدة لم يدركا خديجة)[١].

٢- روى الإمام أحمد في مسنده عن علي ﵁ قال: سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: هما في النار، قال: فلما رأى الكراهية في وجهها، قال: لو رأيت مكانهما

١ مجمع الزوائد ٧/ ٢١٧

لأبغضتها، قالت: يا رسول الله، فولدي منك؟ قال: في الجنة قال: ثم قال رسول الله ﷺ: إنّ المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإنّ المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾[١].

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف لجهالة محمد بن عثمان، قال الذهبي في الميزان: لا يدرى من هو فتشت عنه في أماكن وله خبر منكر ثم ساق هذا الحديث بهذا الإسناد، وقال ابن الجوزي في جامع المسانيد - كما في كنز العمال: في إسناده محمد بن عثمان لا يقبل حديثه ولا يصح في تعذيب الأطفال حديث)[٢].

٣- روى الحاكم في "المستدرك" عن أبي اليقظان عمران بن عبد الله عن ربيعة السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان وهو في مسجد رسول الله ﷺ فسمعته يقول: كان رسول الله ﷺ يقول: "خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله و بمحمد ﷺ"[٣].

---

١ رواه أحمد في المسند

٢ مسند أحمد ١/ ١٣٤

٣ المستدرك ٣/ ١٨٤

ضعفه الشيخ الألباني وقال: (سكت عليه الحاكم والذهبي، وكأنه لجهالة بعض رواته؛ فإن أبا اليقظان هذا لم أجد له ترجمة لا في الكنى، ولا في الأسماء. وفي الطريق الي سعيد بن عجب الأنباري؛ ولم أعرفه أيضاً).

٤- روى الطبراني في (المعجم الأوسط) عن مهاجر بن ميمون عن فاطمة رضي الله عنها أنها: قالت للنبي ﷺ: أين أمنا خديجة؟ قال: في بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب، بين مريم وآسية امرأة فرعون، قالت: من هذا القصب؟ قال: لا بل من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت[١].

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): (رواه الطبراني في الأوسط من طريق مهاجر بن ميمون عنها، ولم أعرفه، ولا أظنه سمع منها والله أعلم، وبقية رجاله ثقات)[٢].

٥- روى الطبراني في (المعجم الكبير) عن سعيد بن كثير قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو بحراء فقال: هذه خديجة قد جاءت بحيس في غزرتها فقل لها إن الله يقرئك السلام، فلما جاءت قال لها إن جبريل

---

١ المعجم الأوسط ١/ ١٣٩

٢ مجمع الزوائد ٩/ ٢٢٣

أعلمني بك وبالحيس الذي في غزرتك قبل أن تأتي وقال الله يقرئها السلام فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام.

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): (رواه الطبراني وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف)[١].

٦- روى الطبراني في (المعجم الأوسط) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (أطعم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجة من عنب الجنة)[٢].

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): (رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفه)[٣].

٧- روى الطبراني في (المعجم الكبير) عن ابن أبي رواد قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها: بالكره مني ما الذي أرى منك يا خديجة؟ وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً، أما علمت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، قالت: بالرفاه والبنين[٤].

---

١ مجمع الزوائد ٤/ ١٩٧

٢ المعجم الأوسط ٦/ ١٦٨

٣ مجمع الزوائد ٩/ ٢٢٥

٤ المعجم الكبير ٢٢/ ٤٥١

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): (رواه الطبراني منقطع الإسناد وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف)[١].

٨- روى الإمام أحمد في مسنده عن عفيف الكندي قال: كنت امرأ تاجراً فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرأ تاجراً فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت يعنى قام يصلي قال ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلى ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي قال فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن أخي، قال: فقلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد، قال: قلت: من هذا الفتى؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه، قال: فقلت: فما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر، قال: فكان عفيف وهو ابن

---

١ مجمع الزوائد ٩/ ٢١٨

عم الأشعث بن قيس يقول وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ فأكون ثالثاً مع علي ابن أبى طالب ﷺ[١].

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جداً.

٩- روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة ﵂ أنّ خديجة ﵂ سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: قد رأيته في المنام فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض.

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة).

---

١ مسند أحمد – ومن مسند بني هاشم – حديث العباس بن عبد المطلب – حديث رقم (١٧٨٧)

المراجع

١- بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة – الإمام برهان الدين البقاعي الشافعي – تحقيق د. محمد نبيل طريفي – دار الفكر العربي – بيروت.

٢- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية – أ.د. مهدي رزق الله أحمد – دار إمام الدعوة الرياض– الطبعة الثانية.

٣- ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية – محمد بن عبد الله العوشن – دار طيبة – الرياض – الطبعة الأولى.

٤- في رحاب أهل البيت (ع) – محمد حسين فضل الله – إعداد سليم الحسني – مكتبة الفقيه – الكويت – الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٥- السيرة النبوية الصحيحة – أ.د. أكرم ضياء العمري – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة السادسة ١٩٩٤م.

٦- فقه السيرة – الشيخ محمد الغزالي – تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧- عمدة القاري – الإمام العيني - دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩هـ.

٩- الاستيعاب – الإمام ابن عبد البر – تحقيق: علي محمد البجاوي- دار الجيل - بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٠- سير أعلام النبلاء – الإمام الذهبي- تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة التاسعة - ١٤١٣-١٩٩٣م.

١١- الطبقات الكبرى – الإمام ابن سعد – دار صادر – بيروت.

١٢- أنساب الأشراف – البلاذري - تحقيق د. سهيل زكّار ود. رياض زركلي- دار الفكر - بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١٣- سنن النسائي - أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي – تحقيق عبدالفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب - الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ .

١٤- السيرة النبوية – ابن هشام الحميري – تحقيق:محمد محيي الدين – مكتبة محمد علي صبيح – مصر –طبعة ١٩٦٣م.

١٥- المعجم الكبير – للحافظ أبي سليمان الطبراني - تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية.

١٦- البحر الزخّار – الحافظ أبو بكر أحمد البزّار – تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله – مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم – بيروت ١٤٠٩ .

١٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- الحافظ نور الدين علي الهيثمي - بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر - دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان - طبعة ١٩٨٨م.

١٨- دلائل النبوة – البيهقي – خرج أحاديثه د. عبد المعطي قلعجي – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

١٩- تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢٠- معجم ابن الأعرابي – أحمد بن محمد بن الأعرابي – تحقيق عبد المحسن الحسيني – دار ابن الجوزي – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٢١- السلسلة الصحيحة – الألباني – مكتبة المعارف – الرياض.

٢٢- الأدب المفرد – للإمام محمد بن إسماعيل البخاري- محمد فؤاد عبدالباقي- دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.

٢٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة – الحافظ عز الدين ابن الأثير - دار الكتاب العربي - بيروت – لبنان.

٢٤- ذخائر العقبى- احمد بن عبد الله الطبري - مكتبة القدسي – القاهرة

٢٥- تهذيب التهذيب - ابن حجر - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت — لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٤ - ١٩٨٤م

٢٦- الأنساب - السمعاني- تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م

٢٧- المعجم الأوسط- الطبراني- تحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين - دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ - ١٩٩٥ م

٢٨- تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - تحقيق علي شيري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ١٤١٥

٢٩- مختصر الشمائل المحمدية - أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي صاحب السنن - اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني - المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن

٣٠- المنتخب من ذيل المذيل-الطبري- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان.

٣١- الإصابة - ابن حجر- تحقيق الشيخين عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

تم بحمد الله